

الشعر العربي الصوفي للشيخ ركن الدين السهروردي الملتاني وتأثره بقصيدة البردة للبوصيري

* محمد سرور

** عنل پروين

*** عمّار حيدر زبدي

Abstract

This article is the analytical study of an Arabic hymn (Qasida) of Shah Rukne Alam Suharwardi Multani. This hymn was compiled in mystic and spiritual style. This hymn has got deep influence and impression of Imam Busiri's Qasida Burda. The formation (prosody and meters) and signification (theme and topics) of Qasida Shaudia is at the most in line with the Qasida Burda. Shah Rukne Alam Suharwardi Multani has made genuine effort to engender the love of Islam & Prophet of Islam (PBUH) through this hymn. (Man of love actually deserves as man to be called of faith). This was infecting for making people to live like good human being and good Muslims in best possible way. Briefly speaking this hymn is a light for the man of this time.

Keywords: Qasida Shaudia, Qasida Burda, Suharwardi

إنَّ محبة الرسول الكريم ﷺ من أعظم نعم الله سبحانه على المسلمين المؤمنين، فهي النعمة العظمى التي ما احتاج أحد منا إلى مشقة للحصول على هذه النعمة، بل وهبه الله تعالى إيانا وزينه في قلوبنا بلا طلب من خالص فضله العظيم وكرمه العميم. والمسلمون على اختلاف أزمته وبتعد منازلهم فيما بينهم يشتركون في هذا الشرف الجليل، ويكادون يتفاوتون في إظهار حُبهم الراسخ لسيدهم ومولاهم النبي محمد ﷺ مهما كانت أقاليمهم وأزمته. ومن الأعمال المعبرة عن حُبهم البالغ حدود الوله والعشق شغلهم في مديحه عليه وسلم بكل ما لديهم من إمكانيات الكلام والتعبير، فيمدحونه عليه وسلم في نثرهم وشعرهم، وكلماتهم وخطبهم وكتبهم ورسائلهم، وعلى ذلك مجموع قاطبة إلى يومنا هذا، من البداية إلى الآن الذي تشرف فيه أول المسلمين بالرؤية على الطلعة الحسنة لسيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي عليه وسلم.

*الأستاذ المساعد، بقسم اللغة لعوية، جامعة بمالدين زكيا، ملان.

** الأستاذة للشركة، بقسم اللغة لعوية، جامعة بمالدين زكيا، ملان.

*** الأستاذ المساعد، بقسم اللغة لعوية، جامعة بمالدين زكيا، ملان.

نبذة عن حياة الشيخ الملتاني:

الشيخ أبو الفتح ركن الدين السهروردي كان من أعيان الصوفية وأعلام التصوف ومشاهير الأولياء. وكان قَوَّاد الطريقة السهروردية بأرض ملتان، وكذلك كان إماماً في الزهد والورع وعارفاً وحيداً في زمنه بالمعارف السنية، جامع المعقول والمنقول في العلوم العربية موزوناً ومنشوراً. وكان له شأن كبير في إرشاد الناس وهدايتهم من المعصية إلى الطاعة ومن النفسانية إلى الروحانية. وكان مولعاً على السنة واتباع السلف، والعمل الصالح، ما يُحمد عليه.

ولد الشيخ السهروردي يوم الجمعة سنة تسع وأربعين وست مائة من الهجرة بمدينة ملتان.¹ وكان أبوه الشيخ صدر الدين عارف وكذلك جده الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني الذي كان أسس الطريقة السهروردية بأرض الهند.² واسم أمه الحنونة "بي بي راستي" بنت السلطان جمال الدين (رحمه الله).³ ونشأ وترعرع السهروردي في ظل عناية جده وأبيه. ثم تولى الخلافة جده بعد أبيه.⁴ فتوفي سنة خمس وثلاثين و سبع مائة من الهجرة أثناء صلاة التسبيح، وكان عمره ثمانية وثمانون عاماً⁵ فدفن في حصن ملتان القلعة بجوار آبائه الكرام. (رحمهم الله تعالى)⁶

التعريف بالقصيدة الشوقية:

إن للشيخ آثاراً منشورةً ومنظومةً باللغة الأردية والفارسية والعربية، ولكنه لم يكن شاعراً عربياً بالضبط، بل وجدنا أبياتاً معدودة باللغة العربية، قرّضها في أسلوب السلوك والتصوف وسمّاها "القصيدة الشوقية" تشتمل على ثمانية عشر بيتاً مملوءةً بأفكار الصوفية. وهذه القصيدة العربية من إحدى القصائد في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر الشيخ الملتاني في قصيدته شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائله وفضائله ومعجزاته بتعابير صوفية وألفاظ جيدة. وذكر فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم هو مقصود الكون وسبب الوجود. نبذة عن حياة الشيخ البوصيري:

¹ عالم فقري، تذكرة أولياء باكستان، (لاهور: شبير برادرز اردو بازار، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، ١: ٩٧

² شارب، الدكتور ظهور الحسن، تذكرة أولياء باك و هند، (لاهور: بروكريسو بكس، اردو بازار، ١٩٩٩م)، ١٠٩،

³ القادري، السيد امتياز حسين القادري، تذكرة أولياء ملتان، (ملتان: مكتبة حاجي نیاز أحمد)، ٤٤،

⁴ منشي عبدالرحمن خان، تاريخ ملتان ديشان، (ملتان: عالمي إدارة إشاعت علوم إسلامية، ١٩٨٥م)، ١٩٥،

⁵ سيد محمد لطيف، ملتان کی قدیم تاریخ، (ملتان: بيكن بكس، ٢٠٠٦م)، ٤٩،

⁶ القادري، تذكرة أولياء ملتان، ٤٤،

هو الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري، ولد بقرية أبيه "دلاص" بمصر سنة ٦٠٩هـ/١٢١١م، ونُسب إلى قرية أمّه "بوصير"، كلاهما قريتان من أعمال بني سويف بمصر.⁷ ونشأ بقرية "بوصير" من قرى مصر⁸، فحفظ القرآن الحكيم في زمن طفولته، وتعلم على كبار علماء عصره، حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى سنة ٦٩٦هـ، الموافق ١٢٩٦م، ناسكاً عابداً مادحاً للنبي صلى الله عليه وسلم، متمسكاً بسنته قولاً وعملاً⁹، ودُفن بمسجده الشهير بالبوصيري بجوار أستاذه المرسى أبي العباس بمدينة الإسكندرية.¹⁰

التعريف بقصيدة البردة:

اشتهر الشيخ البوصيري بمدائحه النبوية، بدأ نظم الشعر منذ حداثة سنه وله قصائد كثيرة، ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة. ولكن قصيدته "قصيدة البردة" في المديح النبوي عليه وسلم الذي بلغت شهرته في أنحاء العالم. وإنَّ من أجمل ماصاغه الشعراء في هذه الفترة المباركة حول مديح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو القصيدة الشهيرة المسماة بـ "الكواكب الدرّية في مدح خير البرية" والمعروفة بـ "قصيدة البردة" والمشتهرة باسم "البراءة" التي نظمها الإمام شرف الدين، أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي المصري في القرن السابع من الهجرة. ونالت هذه القصيدة من القبول والتداول والشعبية والمحبة التامة ما لم يبلغ عشر عشرها أحد من المصوغات الشعرية في لغة من لغات العالم.

⁷ الباجوري، الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري، ١١٩٨-١٢٧٨هـ/١٧٨٠-١٨٥٨م؛ شرح البردة المسماة الكواكب الدرّية في مدح خير البرية عليه وسلم، ضبطها أحمد علي حسن، (القاهرة، مصر: مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا)، ٣.

⁸ الخربوي: العلامة السيد عمر بن أحمد آفندي الحنفي المتوفى ١٢٩٩هـ؛ قصيدة البردة مع شرحها عصيدة الشّهدة، (كراتشي، باكستان: مجلس المكتبة العلمية الدعوة الإسلامية، شعبة الكتب الدراسية، للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ٣٧.

⁹ الباجوري، شرح البردة المسماة الكواكب الدرّية في مدح خير البرية عليه وسلم، ٣.

¹⁰ أحمد جاجة، عبد الله أحمد جاجة؛ العملة في إعراب البردة، قصيدة البوصيري، تحقيق وشرح: عبد الله أحمد جاجة، مراجعة وتقديم: الأستاذ الدكتور محمد علي سلطاني، (بيروت، لبنان: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ١٥.

سبب نظم قصيدة البردة:

قال البوصيري: كان سبب نظمي هذه القصيدة أني أصابني فالج، ففكرت أن أمدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة، فنظمتها. ولما فرغت نمت ليلة، فسُعدت برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، ومسح عليه وسلم يديه المباركتين على جسدي، وقد عُوِفْتُ والحمد لله.¹¹

موضوعات الشعر العربي للشيخ الملتاني:

الشعر العربي للشيخ الملتاني يشتمل على أبيات معدودة، أنشدتها في المديح النبوي صلى الله عليه وسلم بطريق السلوك والتصوف وسمّاها "القصيدة الشوقية".
وها أنا أذكرُ الموضوعات الموجودة في القصيدة الشوقية ليتيسر فهمُ روح القصيدة وباطنِها، وهي كالتالي:

الشوق إلى دياره عليه وسلم:

زَادَ اشْتِيَاقِي لِجَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ وَهَامَ قَلْبِي لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
وَأَرْضُ طَيْبَةٍ قَدْ زَادَ الْعَرَامُ بِهَا شَوْقًا إِلَى صَاحِبِ الْآيَاتِ وَالْحِكَمِ¹²

ويقول الشيخ: إنماكثر الشوق لأسكن قرب الجيران الذين سكنوا موضع "سلم" الذي يقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وبعدما ذكر الموضوعين بالحجاز أي "البان" و"العلم" قد اضطرب قلبه لشدة الحب إليهما.

ذو سلم: جبل منسوب لقبيلة طيء شرق المدينة وقيل إن ذي سلم ليس جبلا وإنما هو مكان بقرب قرية قديد بين مكة والمدينة.¹³

البان والعلم: ويأتي الشاعر بأدلة على إنكار الحب فيقول: لولا أنك عاشق ومحِب، لما سالت دموعك الحارة على آثار ديار الأحباب (الأحباء).¹⁴

¹¹ ابن مقلّاش، الشيخ عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن مقلّاش الوهراني؛ شرح البردة البوصيرية-الشرح المتوسط، دراسة وتحقيق، د. محمد مرزاق، دار ابن حزم، (بيروت: مركز الإمام الثعالبي للنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء، ٢، عدد الصفحات، ١١٠، النسخة منسقة ومفهرسة، ٦

¹² شهباز، الدكتور شهباز ملك؛ شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجها دا بنجابي ترجمه، مجلة، كهوج، (لاهور: قسم اللغة البنجابية بجامعة بنجاب، يوليو - ديسمبر، ١٩٨٦م)، مجلد ٩، العدد ١، ٢٤

¹³ حسن حسين، ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وسلم، (دار الكتب القطرية، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ)، ٥٤

واشتد الحب والشوق للسفر إلى الأرض التي هي مقدسة بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم لأتمكن زيارة الحبيب الذي مابعث إلا بالأمور الخارقة للعادة التي أظهرها الله على يده المباركة.

أمنْ تذكّر حيرانٍ بذِي سَلَمٍ
أمنْ هبّت الرّيحُ من تلقاءِ كاظمَةٍ
منجّت دُمعاً جرى من مُقلَةٍ بَدَمٍ
أوأومضَ البرقُ في الظلماءِ منْ إضْمٍ¹⁵

فضل النبي صلى الله عليه وسلم :

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
مُحَمَّدٌ كَامِلُ الْأَوْصَافِ مُرْتَفِعًا
مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالْحَقِّ يُرْشِدُنَا
عَسَى بِفَضْلِكَ أَنْ جَعَلْنَا غَدًا بِحِمَا
مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مَنْ فِي الْعَالَمِينَ سُمٍ
مُحَمَّدٌ قَدْرُهُ يَغْلُو عَلَى الْأُمَمِ
أَنْ لَيْسَ نَعْبُدُ إِلَّا بَارِيَّ النَّسَمِ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ¹⁶

وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل خلق الله تعالى وخيرته وليس أحد في العالمين مثله ولم يخلق الله سبحانه وتعالى من خلقه كله مثله. ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي أكمل الله سبحانه وتعالى أوصافه بدرجات رفيعة وجعله أجمل الشماثل وأسوة حسنة للناس وهو الذي شرفه بتاج ختم النبوة وجعله سيد المرسلين والنبیین وفضله على جميع الرسل والأنبياء. وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله بالحق وبالدين القويم لكي يهدينا إلى صراط مستقيم ونؤمن برنا العظيم ونعبده وحده ولا نكفره أبدا. ولا نرجو يوم القيامة إلا رجاء حماية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم خير الخلق كله بفضل الله الجواد الكريم. شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم :

هُوَ الشَّفِيعُ إِذَا طَالَ الْوُقُوفُ غَدَا
مَنْ مِثْلُهُ وَضِيَاءُ النُّورِ يَعْرِفُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْعَرْضِ وَالْندَمِ
كَذَلِكَ اللَّوْحُ يَعْرِفُهُ مَعَ الْقَلَمِ¹⁷

هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي سيفتح يوم لا يوجد فيه شفيع للمؤمنين إلا محمد صلى الله عليه وسلم ويوم لا ظل إلا ظل الله و يوم لا يملك أحد خطابا ويوم الندامة للذي نسي ربه وأعرض عنه في الدنيا. كما روى البخاري: ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تَغَطَّهُ، وَقُلْ تُسَمِّعْ وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُحْمَدُهُ

¹⁴ حلو، محمد يحيى حلو، البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، (دمشق: دار بيروت، بمدينة، الطبع الثالث، ١٤٢٦هـ، وعدد أجزاء، ١:١٥)

¹⁵ الباجوري، البردة للبوصيري، ٥

¹⁶ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجها دا بنجابي ترجمه، ٢٤

¹⁷ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجها دا بنجابي ترجمه، ٢٤

بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ.¹⁸ لانبج مثله في العالمين وهو الذي يعرفه كل شيء في الدنيا والآخرة، تحت السماء وفوقها حتى اللوح والقلم.

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم:

وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ أَنْوَارِ طَلْعَتِهِ	صَارَتْ لِحَيْرِ الْوَرَى مِنْ جُمْلَةِ الْحَدَمِ
وَالْعَرْشُ يَشْهَدُ وَالْكُرْسِيُّ مُعْتَرِفٌ	بِأَنَّ نُورَهُمَا مِنْ نُورِ سَيِّدِ الْأُمَمِ
مُحَمَّدٌ نَبَعَ الْمَاءِ أَنْامِلِهِ	مُحَمَّدٌ رَبُّهُ يَشْفِي مِنَ السَّقَمِ
مُحَمَّدٌ جَهْرَةً جَاءَ الْبَعِيرُ لَهُ	مُسْلِمًا قَبْلَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمِ ¹⁹

كل شيء في الدنيا خلق من نوره حتى الشمس والقمر، ولا تلمعان إلا بنوره، وكل العالم يعد من خدام خير الورى. كما في رواية: قَالَتْ أَسْمَاءُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُوحى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجَرٍ عَلِيٍّ، فَلَمْ يُصَلِّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ”اللَّهُمَّ إِنَّ عَلِيًّا كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْزُقْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ وَرَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَمَا غَرَبَتْ“.²⁰ كما في رواية، قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةٌ دُونَهُ.²¹

ونور محمد صلى الله عليه وسلم قد علا كل شيء حتى العرش والكرسي، وهما يعترفان ويشهدان بأن نور محمد صلى الله عليه وسلم لولم يكن لما كانا متنورين. ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي قد جرى الماء من أصابعه. كما ورد في الحديث: دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَوَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ قَالَ قُلْتُ: كَمْ كَانُوا يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ قَالَ: كَانُوا زُهَاءَ الثَّلَاثِمِائَةِ.²² وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان ريقه شفاء

¹⁸ البخاري، الجامع البخاري، (بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، ٦: ١٧

¹⁹ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تى حافظ برخوردار رانجها دا بنجابي ترجمه، ٢٤

²⁰ الطبراني، الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، حققه، ابن عبد المجيد، (القاهرة، مصر: المكتبة لابن تيمية، بمدينة)، ٢٤: ١٤٧

²¹ البخاري، الجامع البخاري، بَابُ، وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا، رقم الحديث: ٤٨٦٤، ٦: ١٤٢

²² مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، الصحيح للمسلم، المحقق، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: ٥، بَابُ فِي مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم

الحديث: ٤٠٢٢٧٩: ١٧٨٣

لكل مرض وسقم إذا كان يوضع موضع المرض كان يشفي به. كما في رواية: فَقَالَ: أَتَيْنَ عَلِيًّا؟، فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ.²³

وهو محمد ﷺ الذي كان يسلمه الحيوانات كما أتاه الجمل متوجهاً إليه وبدأ يقبل الكفين والقدم. كما في رواية: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَقَامُوا، فَدَخَلَ الْخَائِطُ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَّتِهِ، فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلْبِ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ، فَقَالَ: لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ. فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ.²⁴

هو عليه وسلم مقصود الكون:

لَوْلَاهُ مَا كَانَ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ	وَلَا نَهَارٌ وَلَا لَيْلٌ لِمُخْتَلِمٍ
لَوْلَاهُ مَا كَانَ فَرَضٌ وَلَا سُنَنٌ	وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ إِلَى الْحَرَمِ
لَوْلَاهُ مَا كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا	وَلَا نَبَاتٌ وَلَا شَيْءٌ مِّنَ النَّعَمِ
عَسَى بِفَضْلِكَ أَنْ تَجْعَلَنَّا غَدًا بِحِمَا	خَيْرَ الْبَرِيَّةِ يَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ ²⁵

لولاه ﷺ لما خلق الله الشمس والقمر، وما خلق الليل والنهار، وما خلق الكون كله ولا شيئاً من النبات ولا من الحيوانات. ولما كلف المؤمنين بالفرائض والسنن ولا بالصيام ولا بالحج ولا

²³ البخاري، الجامع البخاري، بابُ فضْلِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ، رقم الحديث: ٣٠٠٩، ٤: ٦٠، الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، حققه وعلقه، أحمد محمد شاكر، (مصر: المكتبة المطبعة لمصطفى الحلبي، بلدة، الطبع الثاني، ١٩٧٥م/١٣٩٥هـ، عدد الأجزاء، ٥ أجزاء، ، باب: وَمِنْ سُورَةِ الْقَمَرِ، ٣٩٨: ٥، ٣٢٨٩

²⁴ أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (توفي: سنة ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه، شعيب، وعادل، المؤسسة للرسالة، الطبع الأول، سنة ١٤٢١هـ - سنة ٢٠٠١م، رقم الحديث: ١٢٦١٤، ٢٠: ٦٤

²⁵ شهباز، "شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجها دا بنجابي ترجمه"، ٢٤

بالعبادات الأخرى. كما في رواية: إن الله قال لمحمد: لولاك ما خلقت الأفلاك²⁶ قال: يا محمد وعزني وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي، ولا رفعت هذه الخضراء، ولا بسطت هذه الغبراء.²⁷

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

وَاجْعَلْ صَلَوَتَكَ يَا مَوْلَايَ دَائِمَةً
عَلَى الْحَبِيبِ دَوَامَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَاكِ وَ مُبْتَسِمِ
وَأَلِهِ الْعُرُّ وَالْأَصْحَابِ قَاطِبَةً
مَا سَرَى الْبَارِقُ النَّجْدِي عَلَى الْحَيِّمِ²⁸

ذكر الشيخ الملتاني: الصلاة على النبي الحبيب وفضيلتها في الدنيا والآخرة في شعره قائلاً:
اللهم صل على النبي الحبيب صلاة دائمة ما دام الأشهر الحرم والليل والنهار والسماء والأرض وما بينهما. ومادام البرق ينور الخيم والأطم والجبال والأطلال إلى يوم القيامة، على آله وأصحابه الذين هم نجوم الرشد و الهداية على سماء دين الإسلام.
الشعر العربي للشيخ الملتاني وتأثره بقصيدة البردة:

إن القصيدة المسماة "بالكواكب الدرية في مدح خير البرية" المعروفة بقصيدة البردة للشيخ شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري لاتزال تحي نضرة رغم مرور الأزمنة. وكذلك نجد كثيراً من الشعراء الذين قرضوا المديح النبوي عليه وسلم فيما بعد، ولم يستطع شاعر أن يجاوز الإمام شرف الدين البوصيري، أو يتقدم عليه.

فهذه قصيدة جيدة ممتازة، وأشهر القصائد في بابها، ومصدر الإلهام والتأثر لكثير من القصائد التي أنشئت بعدها، بحيث كانت جل القصائد التي أبدعت بعدها اجتهد شعراؤها أن يسيروا منهاج البوصيري في هذه القصيدة في التمثيل الفني الرائع الدقيق. واتخذت هذه القصيدة حزاً متداولة بالقراءة والتعليم والإنشاد والحفظ والكتابة بحسن الخط والشرح والتشطير والتخميس والتسبيح والمعارضة كأ نموذج

²⁶ السهيلي، الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء، ١٧: ١٢)

²⁷ الصالح، محمد بن يوسف الصالح الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٩٩٣م)، ١: ٧٥

²⁸ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجها دا بنجابي ترجمه، ٢٤

تزئيني من أول عهد الناس المحبين لنبيهم والشاكرين المتقدمين للمدائح الموجهة إليه صلى الله عليه وسلم بهذه القصيدة إلى يومنا هذا.

ومن بين القصائد المديحة الجيدة المغنية الغنية التي ألفها المتفوقون في العلوم العربية والفنون الأدبية في مختلف الدهور والأماكن متأثرين بقصيدة البردة للشيخ البوصيري. قد تركت هذه القصيدة تأثيرها في أذهان الجهابذة وفي نفوس الأجيال القادمة في كل أنحاء العالم الاسلامي لما فيه من الحب والإخلاص والإيمان والتي تثير إعجاب المحبين ومشاعر العاشقين. وعدد من العلماء والأدباء قاموا بشرح هذه القصيدة وبعضهم ترجموها الى اللغات العديدة، ومنهم من سلكوا مسلك البوصيري في نظم القصائد المدحية لما فيه من الأسلوب الرائع والاخلاص المتين. والشيخ السهرودي أيضا واحد منهم الذي نظم قصيدته "القصيدة الشوقية" في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، متأثراً بالشاعر الإمام البوصيري. وسار في "القصيدة الشوقية" على درب سلفة البوصيري. ونحنا إلى أن بمدح خير البرية واقتفى الشيخ الملتاني أثر الإمام البوصيري. فكتب "القصيدة الشوقية" على تركيب القصيدة البردة وموضوعها. وذاع صيتها بين الناس في مدينة ملتان وجوانبها.

الوزن والشكل:

ف نجد أن الشيخ الملتاني رحمه الله تعالى حين بدأ قصيدته الشوقية قد استأنس بميمية للبوصيري شاعر مديح الرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومطلع قصيدة البردة للشيخ البوصيري، حيث يقول:

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
مِرْجَحَتِ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بَدَمٍ²⁹

ومطلع القصيدة الشوقية للشيخ الملتاني، حيث يقول:

زَادَ اشْتِيَاقِي لِحَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
وَهَامَ قَلْبِي لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ³⁰

نجد أن الشيخ الملتاني قد اختار لقصيدته الروي الميم المكسورة كما فعل البوصيري في البردة. وأنشدت القصيدة الشوقية على سلك قصيدة البردة، فكتب الشيخ الملتاني قصيدته على وزن قصيدة البردة من جهة عدد المقاطع و التفاعيل في الغالب وحسب الأغراض الشعرية العروضية التامة. وكانت

²⁹ الباجوري، الشيخ إبراهيم الباجوري، البردة للبوصيري، (القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠٢، ميدان الأوبرا)، ٥

³⁰ شهاب، شاه ركن العالم ملتانى دا نعتيه قصيدة تى حافظ برخورداد رانجهها دا بنجابى ترجمه، ٢٤

القصيدة الشوقية على نمط قصيدة البردة من ناحية الموسيقى والعروض، كما نرى كلتي القصيدتين في بحر البسيط التام المحبون. و تتشكّلان من تفعيلات مشتركة التامة، وهي:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

فإن أثر البوصيري يبرز بصورة عميقة في القصيدة الشوقية التي ابتدأت كابتداء قصيدة البردة للبوصيري بالنسيب والغزل، ومشى مشية الشعراء القدامى فيها.

النسيب النبوي صلى الله عليه وسلم:

إن الشيخ الملتاني قد اقتفى أثر البوصيري في بداية الشوقية، حيث بدأ قصيدته الشوقية بالنسيب والتشبيب والتشوق إلى الحبيب، ثم دخل في موضوع القصيدة الشوقية كما فعل البوصيري في البردة. وكما كان ينشد شعراء العرب القدامى، يبدأون قصيدتهم بالنسيب والغزل والغرام، أو وصف ناقته، أو الوقوف على الطلول أو الآثار الباقية للحبيب، أو بيان القدرة الشعرية، وهذا نسق معماري للقصيدة العربية. حيث استخدم المتصوفة الغزل في كلامهم المنثور والمنظوم ليتواروا خلفية روحانية، لكنهم لم ينغمسوا انغماس غيرهم من الشعراء في الغزل المادي، وإنما التزموا العفة والاحتشام خلال أبياتهم، وهم يقصدون به حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وفعل البوصيري في شعره أيضاً، والشيخ الملتاني في مطلع قصيدته فعل مثل ذلك.

أنشد الشيخ الملتاني:

زَادَ اشْتِيَاقِي لِجِيرَانِ بِذِي سَلَمٍ وَهَامَ قَلْبِي لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
وَأَرْضُ طَيْبَةٍ قَدْ زَادَ الْعَرَامَ بِهَا شَوْقًا إِلَى صَاحِبِ الْآيَاتِ وَالْحِكَمِ⁽³¹⁾

أنشد الشيخ البوصيري:

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانِ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دُمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ
أَمْ هَبَّتْ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ أَوْ أَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ⁽³²⁾

نرى أن الشيخ الملتاني والبوصيري اقتفيا دأب الشعراء القدامى، وكلاهما ذكرا أماكن محبوب وجيرانه القاطنين بذي سلم. وذكر البوصيري موضعَي المحبوب "الكازمة" و"الإضم" في بداية القصيدة البردة، وهكذا ذكر الشيخ الملتاني موضعين أيضاً "البان" والعلم" في مطلع قصيدته الشوقية.

³¹ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجهها دا بنجايي ترجمه، ٢٤

³² الباجوري، البردة للبوصيري، ٥

فضل النبي صلى الله عليه وسلم:

ومن المعلوم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الخلق وأفضله دَقَّةً وجلَّه كَلَّةً، كما هو مذكور في القرآن الكريم "وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ"³³ قد اتَّفَقَ المفسرون بأن المراد من البعض محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من خصَّه الله بالمرتبة الرفيعة السامية كخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.³⁴ والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم.³⁵ وَجَعَلَ مَنْزِلَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ جَمِيعِهِمْ.³⁶ قال النحاس: بعضهم هنا على قول ابن عباس والشعبي ومجاهد محمد صلى الله عليه وسلم.³⁷ وفي الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"³⁸ وكذلك الشعرا ن كلاهما بيَّنا الفضائل النبوية في أبياتهما التالية.

أنشد الشيخ الملتاني:

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ فِي الْعَالَمِينَ سُمِّ	مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
مُحَمَّدٌ قَدْرُهُ يَعْلَمُ عَلَى الْأُمَمِ	مُحَمَّدٌ كَامِلُ الْأَوْصَافِ مُرْتَفِعًا
أَنْ لَيْسَ نَعْبُدُ إِلَّا بَارِيَّ النَّسَمِ	مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالْحَقِّ يُرْشِدُنَا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ يَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ ⁽³⁹⁾	عَسَى بِفَضْلِكَ أَنْ تَجْعَلَنَا غَدًا بِحِمَا

أنشد الشيخ البوصيري:

والفريقين من عُرب ومن عجم	محمد سيد الكونين والثقلين
---------------------------	---------------------------

³³ البقرة: ٢٥٣

³⁴ الصابوني: محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة: الناشر، دار الصابوني من الطباعة والنشر والتوزيع بمدينة، الطبع الأول، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ١: ١٤٥

³⁵ المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، (مصر: الشركة المكتبة والمطبعة مصطفى ببلدة، الطبع الأول، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)، ٣: ٥

³⁶ ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، حققه، سامي بن محمد سلامة، (الناشر، دار الطيبة للنشر والتوزيع، الطبع الثاني، ١٤٢٠هـ)، ٦: ٥٤٦

³⁷ القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، حققه، هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، ببلدة السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ٣: ٢٦٤

³⁸ مسلم، صحيح مسلم، الفضائل، رقم الحديث: ٢٢٢٣

³⁹ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجهها دا بنجايي ترجمه، ٢٤

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ
فاق النبیین في خلقٍ وفي خُلُقٍ
وبت ترقى إلى أن نلت منزلةً
فهو الذي تم معناه و صورته
حتى إذا طلعت في الكون عمّ هذا
و أنه خيرُ خلقِ الله كلهم
ولم يُدأْنوه في علمٍ ولا كرمٍ
من قاب قوسين لم تُدرَك ولم تُرم
ثم اصطفاه حبیباً بارئ النسم
ها العالمين وأخيت سائر الأمم⁴⁰

ذكر الشيخ الملتاني والشيخ البوصيري فضيلة النبي ﷺ على جميع الخلائق، أوصافه كاملة ودرجاته رفيعة بأسلوب مختلف. ذكر الشيخ الملتاني: أن النبي ﷺ خير خلق الله تعالى وأفضله. وهو كامل الأوصاف الحميدة قدّرهُ يَغْلُوا عَلَى العالمين. وكذلك الشيخ البوصيري يقول: إن الرسول ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة وسيد الإنس والجان وسيد العرب وغير العرب. وكذلك أنه فاق النبیین في أخلاقه وفي خلقه وأنهم لم يقاربوه في علمه ولا أدبه. يمدح أنه مازال يصعد إلى أن نال منزلة عظيمة لم ولن يدركها أحد قبله ولا بعده ولم يطلبها أحد الفهم والاستيعاب. فنرى أن الشيخ الملتاني قد تأثر أثراً عميقاً في قصيدته بأبيات الشيخ البوصيري.

شفاعة النبي ﷺ :

إِنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ مُنْجِي النَّاسِ مِنَ الْعَذَابِ بِشَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ).⁴¹ قَالَ: (ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزِّي وَجَلَالِي وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)⁴² قَالَ تَعَالَى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"⁴³ في ذلك اليوم لا يعرف أحدٌ أحداً إلا نفسه ولا يهب الابن لأبويه ولو حسنة، كلُّ شخص يقول نفسي نفسي، ولا يأبه بغيره إلا الرسول عليه الصلاة

⁴⁰ الباجوري، البردة للبوصيري، ٥

⁴¹ مسلم، صحيح المسلم، رقم الحديث: ١٨٩

⁴² البخاري، الجامع البخاري، رقم الحديث: ٧٥١٠

⁴³ الشعراء: ٨٨-٨٩

والسلام فهو يخشى على أَمَّتِهِ عذاب يوم عَصيب، يوم يُعَرَّضُ فيه الخلقُ عُراً خُفَاءً غُراً كَمَا وُلِدُوا.⁴⁴
وكذلك الشيخُ الملتاني والشيخُ البوصيري كلاهما ذكرا شفاعَةَ النبي الكريم في أبياتهما التالية.

أنشد الشيخُ الملتاني:

هُوَ الشَّفِيعُ إِذَا طَالَ الْوُقُوفُ عَدَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْعَرَضِ وَالنَّدَمِ
مَنْ مَثَلُهُ وَضِيَاءُ الثُّورِ يَعْرِفُهُ كَذَلِكَ اللَّوْحُ يَعْرِفُهُ مَعَ الْقَلَمِ⁴⁵

أنشد الشيخُ البوصيري:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هولٍ من الأهوالِ مقتحمٍ
فإنَّ من جودك الدنيا و ضرَّحًا ومن علومك علمَ اللوحِ والقلمِ⁴⁶

يقول الشيخُ الملتاني والبوصيري إن شفاعَةَ النبي ﷺ خاصَّةٌ برسولنا وحبیبنا
ومولانا عليه وسلم من بَنِ المرسلین والنبيين، و يقولان أيضا في أبياتهما بطريق مختلف: إن الله تعالى يأتي
بحبيبه عليه وسلم يوم القيامة أن يشفع شفاعَةَ حسنة للناس ثم يقضى الله بين الخلائق كلها.

ذكر الشيخُ الملتاني: أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة وهو يوم الندامة لجميع المؤمنين لأنهم
يحاسبون ويوزن أعمالهم. وكذلك اللَّوْحُ الْقَلَمُ يَعْرِفَان شفاعَةَ النبي ﷺ ونوره. ذكر الشيخُ
البوصيري: أن النبي حبيبٌ لكل أمته، ويجبونه حباً شديداً، ويُؤمِّلون شفاعته يوم القيامة ويرجون النجاح
بها في كل هول من الأهوال الشديدة والنائبة من النوائب المؤلمة التي يقابلونها الناس أجمعين. وخير
الدنيا والآخرة رهين بجودك والنجاة بشفاعتك في الآخرة، وعلم اللوح والقلم بعض علمك. فنجد أن
الشيخُ الملتاني قد اقتفى أثر البوصيري في أبيات قصيدته.

معجزات النبي ﷺ:

الأمر التي تفوق طاقات البشرية وتحرق قوانين الطبيعة.⁴⁷ إن المعجزة تعتبر من البراهين
القاطعة التي تثبت بها النبوة لكل نبي (عليه السلام)، وكذلك كل نبي أظهر معجزة لإثبات دعواه وكما بعث
الله تعالى النبي ﷺ بمعجزات كثيرة لإثبات نبوته عليه وسلم.

⁴⁴ العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتاني الحنفى بدر الدين العيني، عمدة القاري

شرح صحيح البخاري، (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة)، ٢٥: ٤

⁴⁵ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجهها دا بنجابي ترجمه، ٢٤

⁴⁶ الباجوري، البردة للبوصيري، ٥

أنشد الشيخ الملتاني:

وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ أَنْوَارِ طَلْعَتِهِ
وَالْعَرْشُ يَشْهَدُ وَالْكُرْسِيُّ مُعْتَرِفٌ
مُحَمَّدٌ نَبَعَ الْمَاءِ أَنَامِلِهِ
مُحَمَّدٌ جَهْرَةً جَاءَ الْبَعِيرُ لَهُ

صَارَتْ لِحَيْرِ الْوَرَى مِنْ جُمْلَةِ الْحَدَمِ
بِأَنَّ نُورَهُمَا مِنْ نُورِ سَيِّدِ الْأُمَمِ
مُحَمَّدٌ رَيْثُهُ يَشْفِي مِنَ السَّقَمِ
مُسْلِمًا قَبْلَ الْكَفِّينِ وَالْقَدَمِ⁴⁸

أنشد الشيخ البوصيري:

بعارضٍ جاد أو خلّت البطاح بها
كم أبرأت وصيباً باللمس راحتُه
جاءت لدعوته الأشجار ساجدةً
تمشى إليه على ساقٍ بلا قدم⁴⁹

سَيِّبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرَمِ
وَأُطْلِقَتْ أَرْبَاءٌ مِنْ رِبْقَةِ اللَّيْمِ
تمشى إليه على ساقٍ بلا قدم⁴⁹

يقول الشيخ الملتاني في الأبيات المذكورة: إن الأشياء كلها خلق الله تعالى لأجل حبيبه صلى الله عليه وسلم، وهذا التخليق يُظهر فضل مكانته، وعلو معجزاته. كما يذكر الشيخ الملتاني بعض معجزاته، مثل: قد جرى الماء من أصابعه، وأصبح ريقه شفاءً، وكما أتاه الجمل متوجّهاً إليه وبدأ يقبل الكفين والقدم.

يقول الشيخ الملتاني البوصيري: عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: وقد دعا النبي في السنة المجردة لقومه، فجاء السحاب ونزل المطر الغزير مثل سيل العرم ثم أنبت الله الأرض نباتاً كثيراً وكثرت أطعمتهم وأشربتهم. يتابع الحديث عن معجزاته عليه وسلم فيقول: كم مرة مسحت يده الشريفة عاهة امرئ فعوفي من ساعته، وخلّصت من كان يعاني من أسر الجنون فعوفي منه⁵⁰ يتحدث الآن عن بعض المعجزات التي وقعت له تكريماً من ربه فيقول: استجابت الشجرة لطلبه عليه وسلم عندما طلب منها الجحي، فجاءته ملبية تشق الأرض بساقها حتى استوت أمامه. هذه المعجزات قد ذكرها الشيخ

⁴⁷ أبو شوفة، أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، (ليبيا: دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٣م)، ٢١.

⁴⁸ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردان رانجهها دا بنجاي ترجمه، ٢٤.

⁴⁹ الباجوري، البردة للبوصيري، ٥.

⁵⁰ البيهقي، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، حققه، الدكتور عبد المعطي، (دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ١٨٧: ٦، عياض، الإمام أبو الفضل القاضي عياض (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، حاشية، الشمني (المتوفى: ٨٧٣هـ)، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، عدد الأجزاء، ٢، ١: ٤٥٥.

البوصيري في أبياته، فنرى هذه المعجزات ذكرت في أبيات الشيخ الملتاني والآن نحن نستطيع أن نقول قد أخذ الشيخ الملتاني أثرا كثيرا عن أبيات الشيخ البوصيري.

هو عليه وسلم مقصود الكون:

ذكر المكي، قال الله تعالى: ”إني خلقت محمد لأجلي، و خلقت آدم لأجل محمد، و خلقت جميع ما خلقت لأجل ولد آدم، فمن اشتغل منهم بما خلقت له لأجله حجبته عني، ومن اشتغل منهم بي سقت له ما خلقت له لأجله“.⁵¹ وقال الإمام ابن حجر الهيتمي: ومما صح عند الحاكم أيضاً عن ابن عباس قال: ”أوحى الله تعالى إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد ومُر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن“.⁵² وقال الهيتمي أيضاً: (إن الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته؛ لأنهم يساوونه في أشياء مر عن الرازي بعضها؛ ولأنه قال في حقهم: اللهم إني وأنا منهم؛ ولأنهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة أمهم بضعته، فأقيموا مقامه في الأمان).⁵³

أنشد الشيخ الملتاني:

لَوْلَاهُ مَا كَانَ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ	وَلَا نَهَارٌ وَلَا لَيْلٌ لِمُخْتَلِمٍ
لَوْلَاهُ مَا كَانَ قَرَضٌ وَلَا سُنَنٌ	وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ إِلَى الْحَرَمِ
لَوْلَاهُ مَا كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا	وَلَا نَبَاتٌ وَلَا شَيْءٌ مِّنَ النَّعَمِ
عَسَى بِفَضْلِكَ أَنْ تَجْعَلَنَا عِدًا بِحِمَا	خَيْرَ السِّرِّيَّةِ يَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ ⁵⁴

⁵¹ المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المحقق، الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء، ٢، ١: ٦٩٦

⁵² الهيتمي، الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الفتاوى الحديشية، دار الفكر مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية ، مصدر الكتاب، ملتقى أهل الحديث، ١٨٩

⁵³ الهيتمي، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، حققه، (لبنان: التركي، المؤسسة للرسالة، الطبع الأول، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ٢: ٤٤٨

⁵⁴ شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجهها دا بنجايي ترجمه، ٢٤

أنشد الشيخ البوصيري:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم⁵⁵

يقول الشيخ الملتاني والشيخ البوصيري: أن الله تعالى خلق الخلائق كلها لأجل نبيه صلى الله عليه وسلم يعني لولاه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الأفلاك وما خلق الكون كله. كما وردت في الحديث النبوي الشريف: إن الله قال محمد: "لولاك ما خلقت الأفلاك".⁵⁶

يقول الشيخ الملتاني في أبياته المذكورة: لولا محمد صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الأفلاك وما بينها. ولما كلف المسلمين بالعبادات مثل: الفرائض والسنن، والصيام. هذه المعجزات قد ذكر الشيخ البوصيري في أبياته وجه تخليق الكون هو محمد صلى الله عليه وسلم قائلاً: وكيف يمكن لفرقه أن يغريه بشيء من زخارف الدنيا وزينتها، وهو الذي لم تخلق الدنيا بما فيها إلا لأجله. يظهر أثر عميق في أبيات الشيخ الملتاني الذي أحذنه من أبيات الشيخ البوصيري.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتُسمى أيضاً التصلية⁵⁷ وهي إحدى العبادات الواجبة على المسلمين وفقاً للآية القرآنية "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"⁵⁸ وكذلك وردت الأحاديث النبوية في هذا الصدد: الحديث: "من ذكرْتُ عنده فخطيء الصلاة عليّ خطيء طريق الجنة".⁵⁹ الحديث: "الْبَحِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ".⁶⁰ الحديث:

⁵⁵ الباجوري، البردة للبوصيري، ٥

⁵⁶ السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ١:١٢

⁵⁷ أحمد شوقي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، (الرباط: الطبعة الثالثة)، ٩٠

⁵⁸ الأحزاب: ٥٦

⁵⁹ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، القول البديع في

الصلاة على الحبيب الشَّفيع، (دارالريان للتراث، سنة الطبع، ١٤٢٢هـ)، ١٥١

⁶⁰ الجهضمي، القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي

المالكي الجهضمي (المتوفى: ٢٨٢هـ)، فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، محمد ناصر الدين الألباني،

(بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ)، ٤١

”من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات ورفع له بها عشر درجات“⁶¹

أنشد الشيخ الملتاني:

وَاجْعَلْ صَلَوَاتَكَ يَا مَوْلَايَ دَائِمَةً
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
وَأَلِهِ الْعُرَّ وَالْأَصْحَابِ قَاطِبَةً
عَلَى الْحَبِيبِ دَوَامَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
خَيْرَ السَّرِيَّةِ مِنْ بَاكِ وَ مُبْتَسِمِ
مَا سَرَى الْبَارِقُ التَّجْدِي عَلَى الْحَبِيبِ⁶²

أنشد الشيخ البوصيري:

وَإِذْ لَسُحِبَ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةً
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ هُمْ
مَا رَحَّتْ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَاً
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ
أَهْلَ التَّقَى وَالنَّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ
وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنِّعَمِ⁶³

ذكر الشيخ الملتاني و الشيخ البوصيري الصلاة على النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم وفضيلتها في الدنيا والآخرة في شعرهما بأسلوب مختلف. كما يقول الشيخ الملتاني قائلاً: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة ما دام الكون كلها. كما يقول الشيخ البوصيري قائلاً: اللهم صل وسلم على نبيك المصطفى بصلوات دائمة تنهل عليه صباح مساء. وعلى آله وأصحابه والتابعين المتقين الكرام الذين هم نجوم الرشيد و الهداية على سماء الدين الإسلام. وقد أخذ الشيخ الملتاني هذا الأسلوب من أبيات الشيخ البوصيري.

ضرورته في الحاضر:

هذا البحث يشتمل على الشعر العربي في صورة المديح النبوي صلى الله عليه وسلم والتصوف. إن التصوف والمديح هما شيء واحد من الميل الدائم بالقلب الهائم إلى المحبة لله ورسوله وإلى الشوق لقائه ورؤيته وشفاعته صلى الله عليه وسلم. إن المادح الحقيقي يلتزم بأوامر ربه الكريم ويجتنب نواهيه في كل أحواله، ثم يملأ الله قلبه سروراً ورضاً وينور رُوحه، فيكون الإنسان من المقربين بهذه المحبة التي تضيء قلبه، وتنير فؤاده، ثم يُحس بالآلام الآخرين وحاجاتهم، ويؤثر الباقية على الفانية لا يضعف أمام نزعات نفسه، ولا يهون

⁶¹ أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ١١٥٨٧

⁶² شهباز، شاه ركن العالم ملتاني دا نعتيه قصيدة تي حافظ برخوردار رانجهها دا بنجابي ترجمه، ٢٤

⁶³ الباجوري، البردة للبوصيري، ٥

أمام مطامع الحياة أملاً في الفوز بما عند الله، ”وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى“⁶⁴. فهذا العبد الصالح يبذل جهده ونفسه في سبيل الله ولرفع صعوبات خلقه تعالى وحل مشكلاتهم، فيُصبح لهم علامة الخير. ومن المعلوم أن عصرنا هذا، عصر الشهوة وعصر المادية، فلا بد لنا أن نقابل هذه الأشياء بما يكافئها ويقابلها، ولذلك نقول: إن التربية الصوفية المقربين وحدها هي التي تقابل ذلك وتعالج كثيراً من أمراض النفس البشرية التي عقدتها مسيرة الحياة في الفرد والمجتمع. وهذا البحث المختصر يوجه الإنسان نحو طريق الهداية والسمو الأخلاقي والإيثار مع الخصاصة في وقتنا الحاضر.